صلاح فائق

دببة في مأتم

منشورات الجمل

شعر

صلاح فائق

دببة في مأتم

شعر

منشورات الجمل

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تحزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

©منشورات الجمل

جميع الحقوق محفوظة

منشورات الجمل

ص.ب: 5438/113 – بيروت – لبنان

تلفون وفاكس: 00961 1 353304

e-mail: alkamel.verlag@gmail.com

www.al-kamel.de

تابعونا على

@منشورات الجمل

منشورات الجمل

منشورات الجمل

دببة في مأتم

إلى نصيف الناصري

١

بكلماتٍ أفتحُ أبوابًا وأغلق أخريات
ترابٌ فوق تراب في كفنِ شاعر
ما بقي من الماضي أرتبه في الليلِ ثم أنام
فأرى أسلافي السومريين عند الحدودِ يحملونَ بذورا، سلاحف

٢

أمس زارني غزالٌ
أكرمته بخضارٍ وفواكه، في الليلِ
بينما كنتُ أقرأ له قصة من ألفِ ليلةٍ وليلة
شهقَ القمرُ بقوةٍ فهرب ضيفي

٣

أمام المحيطِ الذاهبِ الى امريكا
أنتظرُ حوتًا يبلعني، ينقلني الى أيّ مكان

٤

في رأسي يتقدمُ ثائرٌ قديمٌ
يقتحمُ حائطًا بعد آخرَ، وفي يديه أقفالٌ كبيرة

٥

منذ الفجرِ أجلسُ في حوضِ سباحةٍ فارغ

٦

بعدما قرأتُ قصة آدم وحواء

بدأتُ التهمُ تفاحة كلّ يوم

٧

ملائكةٌ مسلحون يطرقونَ بابي
لا أجيبُ. لا أفتح. أراهم من نافذتي.
أذهبُ الى البيانو وأعزفُ، فيشتدُّ الطرقُ
أطلبُ من دبٍّ يخدمني أن يفتحَ البابَ. يذهبُ
أسمعهم، بعد لحظات، يهربونَ صارخين

٨

كلّ قصيدة لي، بدايتها أنثى
كلّ أنثى في قصيدتي
بدايتها صوت القلم عندَ الكتابة

٩

انني من اتباع زرافة

١٠

الرحلةُ » رحلتي أيضًا-{ بدأتْ من بيضة
سمعتُ كلامًا بذيئًا بين الأعشاب
حين فتحتُ عينيَّ لأول مرة.
كانت غيمةٌ تظلّلُ رأسي، سمعتُ رعودًا
كما أتذكر غرابًا يدورُ حولي

١١

سوفَ تزولُ تلكَ الظلالُ من حياتك
عندما تعلو المياهُ وتلتفتُ نحوكَ قرنفلات
ذلك قد يُفرحُ أيضًا صديقك كافكا:
دعهُ يحملُ سيارتك بملفات قضيتهِ المضحكة

ليهربَ الى جهةٍ لا يعرفها أحد

١٢

في غابةٍ، قرب بركانٍ، أرقدُ تحتها فاتنًا
أحيانًا تبتسم أو تتأوه:
تحت رأسي منشفتان

١٣

مرّة كلّ شهر
يفتحُ أبي بابَ غرفة الضيوفِ. يغلقهُ. يغني
أو يستمعُ الى أمّ كلثوم من راديو في حجم برميل
ثمّ نسمعهُ يطلب شايًا، معجنات
أنا أيضًا ضيف، كان يقولُ

١٤

عندي من سفراتي القليلة يورو، باوند، دولارات
دراهم، ليرات، ريال ودنانير
قبل أن أغادر البيت
أنفضُ بها غبار حذائي.

١٥

في الداخلِ، قلقٌ من رحلة حيامني نحو بيضكِ
عبر قنوات لا أعرفها أو أراها
في الخارج، مهاجرونَ يلتهمونَ أسماكًا نيئة

١٦

واقفًا أبدو أجملَ عند محطةِ قطارات
أمامها في بطءٍ أتخيلكِ في سريرِ فندقٍ يحترق

هواءٌ مجنونٌ يدور حولي

١٧

استلقي، سكّيرًا، في قارب
وأسمعُ أخبارًا مفرحة عن نهبٍ لندن

١٨

بهاتفِ الجيبِ أطلبُ عشائي
أو أدلو زمبيلي، من الطابق الثاني، الى بقّالٍ هندي
ليساعدني بأرغفة ومعلبات

١٩

سأذهبُ أنا أيضًا الى الآخرةِ
ومعي مقعدٌ صغيرٌ

٢٠

أنحني على ذئبٍ جاري
أهمسُ في أذنهِ أسرار هرب الممرضين من
المستشفيات

٢١

كان نمرٌ صغيرٌ يحاولُ عبورَ جدولٍ سريع
حملتهُ، وهو يبكي، الى الجهة الأخرى

٢٢

في مدينةٍ غير مضيافة
أغطي نصائح الأقدمينَ بالفسفور

أعلّقها في أزقةٍ ضيّقةٍ
هذا قد يخلعُ أبوابًا
وينشر ذعرًا في الضواحي

٢٣

سائحة أمريكية، عارية في مركبٍ شراعي، تتلفتُ وتشتمُ بغضبٍ،
دلافينَ ترقصُ حول المركب

٢٤

في مطاراتٍ نظيفة، في مدنٍ تعجُّ بقوّادين وأغنياء
بعبيدٍ وجاريات، بعمال أغبياء وفلاحينَ أنذال
بسياسيين مجرمين، برجال أديان وبضبّاط، قصارٍ وسمان
كالخنازير.
بين هؤلاء وأولئك، هنا وهناك
أصادفُ سومريينَ يتسولون

٢٥

لسبب أجهلهُ، أحبُّ أن أتبعَ نهرًا الى مصبهِ الأخير
أو يرافقني للبحثِ عن صديق

٢٦

كركوكُ، ملكة المرتفعات
أصفادها من هواء

٢٧

زمنُ التأخرِ عن ظلّي
زمنُ خسائر جيدة
زمنُ درب يراه أعمى

زمنُ اختفاء أصدقائي
زمنُ يدي، يدي ورقة

٢٨

يعيشُ في شقّةٍ صغيرة
شراشف كثيرة ومخدات، رسائل قديمة لم يفتحها، كتبهُ في المطبخ،
مجلات، صحفٌ مبعثرةٌ، في احداها لصوصٌ فقدوا أسنانهم

٢٩

ساكنُ هذه الصفحاتِ، أصابهُ زلزالٌ في احدى القصائد
تراءى له ملثمونَ ينهبونَ متحفًا
فلاحونَ يهاجمون بئرًا
وشاعرٌ يأكل أرقامًا في ظل شجرة.
كانت هناك مياه، صخور
في تلك القصيدة

٣٠

أحبُّ كتابتي بلا بداية ولا نهاية
مثل أكاذيب مناضلينَ في مجلة
مثل عصافير تتسلق قامتي
مثل تماثيل تشتم مراهقين في حديقة

٣١

رهنتُ قصائدي واشتريتُ بطانية
أفرشها في الليل عند المحيط القادم من الهند
اضطجعُ، أراقبُ النجوم

٣٢

قبل النوم يصلني صفيرُ قطار بعيد
اشارات كثيرة من حياتي يحفظها النسيان
لم يبق لي سوى هذا الصفير

٣٣

في نومي طاردني رعاة بقر
اختفيتُ في مستشفى، جاءوا يبحثون
ثم اجبروا ممرضاتٍ على الرقصِ لمرضى
أيقظني بكاءُ احداهنَّ وكانت تمزق ملابسي

٣٤

لا أختارُ فرائسَ في صوري. هناكَ صقورٌ تحومُ
تعلّمت درسًا من انتقالِ جبلٍ الى مدينة
تلبية لنداءِ طفل

٣٥

تبعتُ نصيحة أرملة ايرلندية:
توقفتُ عن قراءة الصحف، مشاهدة التلفزيون
أصغيتُ للحصى وكان النداءُ عازفي المفضل
هكذا حصلتُ على جواز سفر
لذا تراني مرفَهًا منذ سنوات
لا أخفي ذلك

٣٦

ومضات من جسدٍ منهكٍ ومائل
من صخور تنصهرُ وأخرى تتدهور
ومضاتٌ من نصبٍ فخًا لماضيه
وطفقَ يشربُ، مع خنازيرَ وغزلان
من ينبوعٍ متخيّل

٣٧

قال المحافظ » لا تخفوا الهاربين من الروايات في بيوتكم{
أضافَ » بعضهم طلبة جامعات يتبعون غيفارا
وهناك أجانب يبحثون عن كنوز{.
كان يخطب في قرية فارغة

٣٨

حبيبتي، مع هذه القصائد
أرسلُ لكِ تحيات كلبي
الذي يتكلم.

٣٩

عند عودتي من اسكتلندا
التقيتُ زوجتي القديمة، أهدتني خاتمها
بعتهُ اليوم الى أحد جيراني

٤٠

كنتُ مع سنجابٍ نشربُ نبيذ الرز
حين فجأة، وبلا سبب، بدأتُ أشتمُ البحر
فبدا يبتعدُ، ساحبًا أمواجهُ ومعها قوارب ضائعة
هربَ السنجابُ أيضًا
وكان يضطجعُ فوق كتابٍ لبودلير

٤١

في نيويورك أخرجتُ امرأة عجوز من برميل قمامة
وفي سنترال بارك شاهدتُ دبًا يرقصُ باكيًا
ثم في شقة أحد أصدقائي، رأيتُ أسدًا من حديد يرتجفُ عند موقدِ

٤٢

ينبغي ارغام الأنبياء أيضًا على المشي أو
الرقص فوقَ الصراط المستقيم.
سأجلسُ هناك، على مقعدي الصغير
وأتفزج

٤٣

البحرُ هنا ينقلُ على رأسهِ
قمامةَ مدينتي الى مدن أخرى
أريدُ أن أخلو بهذا البحر، ذات أمسية،
ليشرحَ لي سببَ ما يفعل

٤٤

في احدى قصائدي
ضبعٌ يخدمُ امرأةً تلدُ في شقّة

٤٥

راهبٌ يطاردُ قططًا حولَ كنيسة
في يدهِ اليمنى مجرفة

٤٦

لا أنظرُ أبدًا في مرآة
في الماضي صادفتُ خصومي في المرايا، يتطلعون الي وهم يبتسمون

٤٧

بمنظارٍ أراقبُ عندليبًا يحدّقُ في ثعبان

أسمعُ تذمّر بركانٍ قريبٍ من صرخات غرفتي
ما زلتُ مستهترًا، رغم اني مملوءٌ بهزائم طويلة
ومع أن أسناني محشوّة بالبلاتين

٤٨

حان الوقتُ لاستقبلَ زائري الأخير وهوَ أنا
أنتظرهُ الآن في مطار

زرافة تبكي في محكمة

مقبرة في راس

ظهر أمس كنت عائدًا الى غرفتي، عبر مقبرة
رأيت من بعيد مظلة كبيرة ومفتوحة فوق قبر
اقتربت، إذا بيد نحيلة تمسك تلك المظلة
- لا أرى مطرًا هنا. لماذا هذه المظلة مفتوحة، سألت
- المظلة ليست للمطر فقط، مفيدة أيضًا لاتقاء حرارة الشمس وأشعتها، أجابني صوت منهك.
- ربما تحتاج مروحة كهربائية صغيرة
- عندي واحدة، شكرا على اهتمامك.
- اليوم مررت من هناك، لم أر أي مظلة أو قبر أو تابوت مفتوح:
بضعة بيوت مبعثرة ودكان صغير لبيع فواكه، حيث كان القبر امس
- لا أتذكر هذا الدكان، اهو جديد؟
- أبدًا، أنا هنا منذ سنوات، أجابني صاحب الدكان
- أنا أتذكر مقبرة هنا
- مقبرة؟ اي مقبرة؟

موسم أمطار في الفيليبين

موسم أمطار
تتهاوى سفن، أجساد طافية بين الأمواج.
يختفي أغنياء هذه الجزر في سقيفة أو سرداب
ليعدوا نقودهم ويلمعوا قطع فضتهم.
موسم هجوم بالفؤوس على منزل ريفيين.
موسم شاحنات محملة بأفرشة إلى ضحايا زلزال
موسم تدليل بقية سلالتي
بحساء ساخن.

النبي نوح في سجن فيليبيني

يرن الهاتف
- نعم؟
- هل أنت صلاح فائق من العراق؟

- نعم، من أنت؟

- أنا الكولونيل فيرلو مدير السجن المركزي في مدينة سيبو. أخابرك لأطلب مساعدتك

- مساعدتي؟

اسمح لي أن أشرح الموضوع. ألقى خفر السواحل، ليلة أمس، القبض على شخص اسمه نوح ويدعو نفسه النبي نوح، وكان يهرب سفينة محملة بحيوانات وطيور وزواحف، وعدد من البشر

وما علاقتي بكل هذا؟

-هو طلب لقاء أي عراقي من بلدة أو مدينة سومرية. أخبرتنا دائرة الهجرة والإقامة في مدينة سيبو بأنك عراقي من مدينة اسمها كركوك، وهذه حسب نوح، مدينة بناها سومريون. نوح يدّعي بأنه سومري ويحتاج مساعدتك.

حسنًا سأكون هناك بعد ساعة.

زرافة تبكي في محكمة

بعد يومين من الانتظار في مركز الشرطة

أخذوني الى محكمة.

- أوراقك جاهزة، أخبرني شرطي وهو يبتسم، كاشفًا عن اسنان صفراء من التدخين.

دخلت قاعة المحكمة، مكبّلًا، ففوجئت بزرافة في قفص الاتهام وهي تبكي.

- الحاكم: لماذا تبكين الان؟

- الزرافة: سيدي لقد اعتذرت من صاحب البيت

- الحاكم: لا يمكن الاعتذار عن جريمة وإنما عن خطأ. لقد هدمت جزءًا من سياج البيت وتلفت أشجارا، كما هرب أطفال بسببك

- أنا: هذه الزرافة برينة تمامًا.

- الحاكم: كيف ذلك؟

- أنا: لأن صاحب البيت لم يعلق لافتة تشير إلى منع دخول الحيوانات إليه، أو التهام أوراق الأغصان وفواكه حديقته.

- الحاكم: هذه نقطة قانونية سأهتم بها. هل درست القانون، لكن أنت مكبل، هل أنت متهم أيضًا؟

- أنا: سيدي أنا بريء.

(بعد التشاور مع مستشاريه)

- الحاكم: إذن أنت العراقي الذي هدد مدير حديقة الحيوانات والعاملين هناك؟

- أنا: لم أهدد أحدًا. طلبت نقل الحيوانات إلى بيئاتها الأصلية. هل من العدالة جلب هذه الحيوانات ووضعها في أقفاص من حديد في مدننا؟

- الحاكم: قبل أن أدعوك لتواجه اتهامات بحقك، وهناك شهود، أريد أن أعرف لماذا توقفت هذه الزرافة عن البكاء حالما رأتك؟

- أنا: لأنها اختي.

- الحاكم: أختك؟ أنت من البشر وهي من الحيوانات، ما معنى كلامك؟

- أنا: سيدي، يصعب عليّ تفسير كلامي، ولكنها أختي ويمكنك أن تسألها أيضًا.

- الحاكم (ينظر الى المدعي العام) ويسأله: ما معنى وجود هذا الرجل هنا؟

- المدعي العام: سيدي، هذا الرجل رمز لتحقير القوانين والموظفين. جاء إلى لندن قبل أكثر من ثلاثين سنه، قبلناه، أعطيناه وظيفة، اشترى بيتًا وتزوج. قبل سنتين اتهم المجلس البلدي لمدينة كامدن، بتهريب دببة من أستراليا والقطب الشمالي وبيعها إلى حديقة حيوانات لندن.

- أنا: لم أتهم المجلس البلدي، طلبت إيضاحًا حول ما نشر في الصحف عن تلك الدببة.

- وهكذا، بدل أن يشكر هذا البلد ويحترم قوانينه، هاهو كما ترون، يحتقرنا ويدافع عن الحيوانات. فهمت مؤخرًا أنه عضو في جماعة الأناركيين في شمال لندن.

- الحاكم: كفى، كفى. لم أعد أطيق هذا كله، صرخ

ثم ينهال بمطرقته الخشبية على المنضدة ويصيح:

- تؤجل الجلسة.

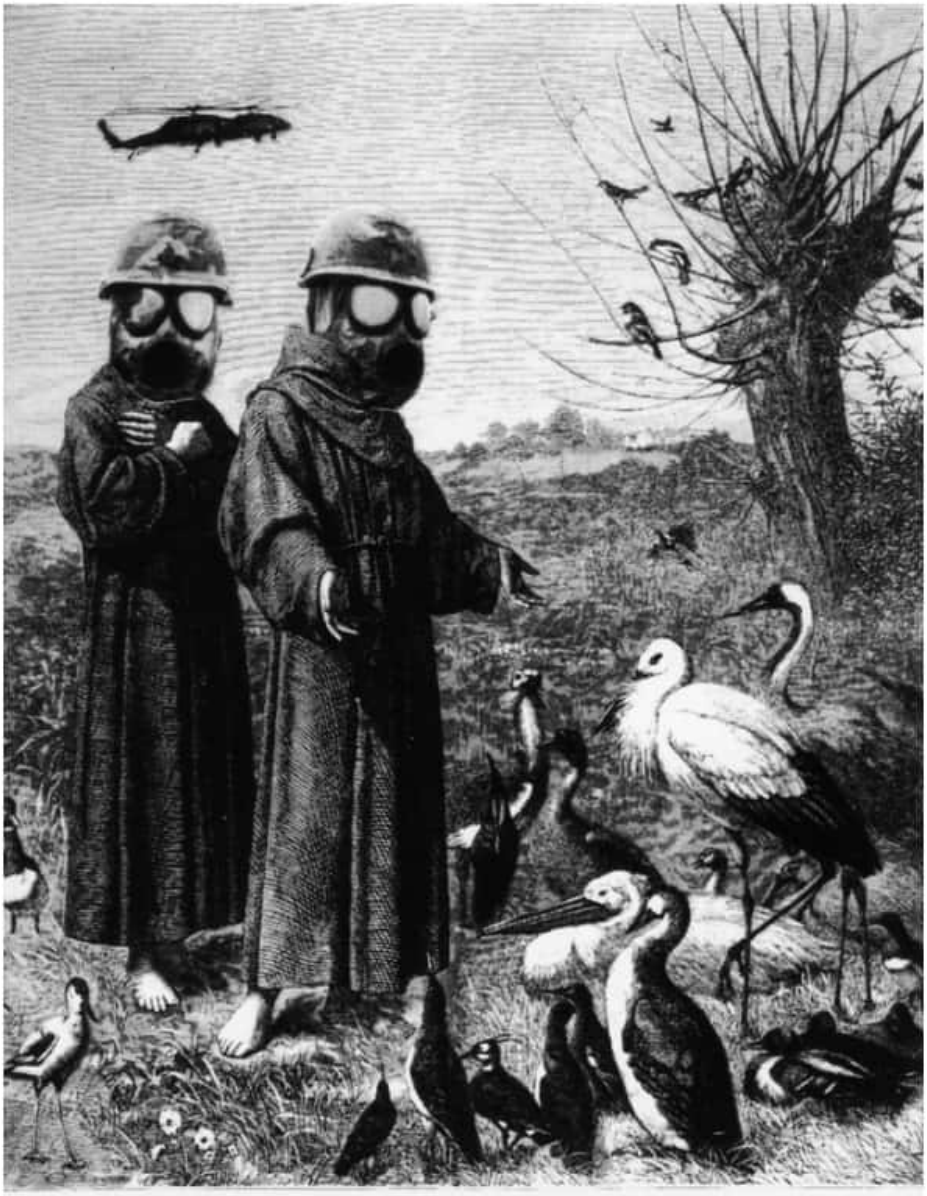

ST. FRANCIS PREACHES TO THE BIRDS

SALAH 1984

حين تطير ثيران مجنَّحة

١

أرتابُ مِنَ الهموم
مِن شؤون الطقس
مِن جَدول يَقفُ قبل منحدر شاهق
ويَلتفتُ الى الوراء

٢

غَدرني عمال المقالع
فَقدتُ أزقة أليفة
انتَهيتُ أصغي، في أعماق الليل،
إلى ارتطام كَواكب

٣

أنا، مثل الغراب، أحبُ قمم الجبال
أتسلَلُ في الفجر، قبل أن يستيقظ جدول هنا
لأداعب ثعالب الماء
وأسمعُ ايقاعات طيور نقّارة
ثم أتوغلُ في الغابة لأجمع برقوقًا وَعناقيد سُمَاق
وهذا ما يدهش خريفًا وَصَلَ هنا مساء أمس

٤

أعودُ اليكِ ومعي خمر مهرّبة
صففتُ شعري الطويل وحزّكتُ جمرات في مدفأة
في الطريق رأيت جنودًا كئيبين يكتبون رسائل
بعدهم التقيتُ فيضانًا كان ينتظرني
فحملني اليكِ

٥

أكتب لأني أخاف
نوايا الليل تحيطني ومصابيح المطابع
وهناك ينبوع يكزر نداءات غريبة
أمام بيتي

٦

دَخلتُ مقهى
وَجدتُ لينين واقفًا يُدَخّنُ أمام تلفزيون
التفتَ، رآني، صَرَخَ: أنتَ هنا أيضًا؟
فخرجتُ لأتفادى لسانه السليط ودخانه الخانق

٧

يأتي الليل الى غرفتي في الليل
أضع أمامه قصائدي
أبعثرُ حوله غيومًا
وأعيدُ له ترتيب مشهد مهاجرين في حقول الغام

٨

حين تصلني أصداء أعياد قديمة
من أرض احترقت
أضربُ طاولتي بقبضة كهل
أنقذت بضع كلمات أتكلم معها
بها ألقي تحية الصباح
على منتظرين في محطة

٩

أنا جارك، تراني الآن أعيش مع غراب
ذكرياتي قليلة وغير جديرة بالتذكّر

تجليات اليوم دفوق بركان
وقطعان ماشية تنزل من طائرات

١٠
لا جدوى من الأسف على أيّ شيء
الاحتيال على الأيام بهاتف
أو جواز سفر
المتفرجون ينتظرونك
فأنتَ الممثل الأخير في نهاية هذه المسرحية

١١
أغنّي لنهر ضيّع مجراه
لستائر نوافذ، لواجهات مسارح
للألفاظ وأرواحها
للذي يسند ظهره الى الهواء
ويغنّي

١٢
بفمي أصغي الى غزاة انتصروا
مدنٌ تحترق وأخرى نُهبت
أمدُّ يدي، أهيلُ عليها ترابًا من جبال
ورملًا من صحراء

١٣
تركتُ أشعاري أمام أحجار وفوق صخور
ومشيتُ فوق مدن كانت تتكلم

١٤

أكتب لأتسلى
أقرأ أشعاري على خادمات
يجدنني في بعضها أمسدُ أعناق ثيران
أو أفشي أسرار راهبات
في أخريات أشتمُ سماسرة من شرفة
بينما أختبئ خلف ملابس سوداء

١٥

فجرًا أهربُ الى غابة قريبة
خوفًا من زلزال وأبقى هناك
حتى يزورني الليل
حين أعود الى قريتي
أقودُ سربًا من جياد الى جدول عميق
قلمي بين أصابعي دائمًا
أنامُ واقفًا وعلى كتفي اليمنى فأس

١٦

أنا النافخ في بوق قديم
وكأنّي زنجي مدلّل في مزرعة
تتداعى صور كثيرة في رأسي
أقوم، أشدّها بسلاسل من حديد

١٧

لي نصيبي من غابات الصنوبر
ومن تحليق نسور فوقها
أهلي عاشوا تحت الأرض وفي الأعياد
توّجوا رأسي بأزهار

١٨

أخبطُ على حائط هنا وحائط هناك
نسيتُ نقودي، قصائدي، في قطار

١٩

وصلت الى غرفتي هاربًا من سحابة جراد
سأخرج في الليل، متخفيًا مثل امبراطور، لأتنزه
سيرافقني طاووس
أو عامل مطحنة

٢٠

اليوم وليمتي لنساء هربن من سجن

٢١

تحايلتُ على تجّار مدن
وعلى كلّ حكومة
هكذا جمعت ثروة: لم أعد أتظاهر بمرض
أو أتبجّح بغدر امرأة

٢٢

هذه هي الحياة - أمكنة موحشة
في أحدها أطلب افطاري في السرير
ويقبلُ النهر دعوتي

٢٣

كركوك: في احدى مقابرها، شغيلٌ يَسكرُ بينَ قبرين، يُغني، أحيانًا يَنهال عليهما بشتائم

٢٤

ذَهبتُ الى مهربين في هور
رَجوتهم
أن
يقوموا
بمهام
في قصائدي المقبلة
فرفضوا
حينَ ابتعدتُ، سمعتهم يقهقهون
ويسخرون منّي

٢٥

من بيت لم يعد في أيّ مكان
خطوتُ نحو المجاهل
أتشمسُ الآن بينَ قوارب هجرها سمّاكون ينسوا

٢٦

اجابه نوائب الحياة ببوق
أو بنقر أبواب البيوت، بأنامل ضعيفة

٢٧

الحزن يَستلقي أمامي
هذا رُبما يثير اهتمام لص أو خفّاش
لكنهُ لا يهمّني
ما يهمّني وما أحتاجهُ هوَ ساحل أو جبل
لأشجار قصائدي وحيواناتها

٢٨

أتسلّى مع جدول، ثرثار قليلًا

في الجانب الآخر ملاك بدين يحمل نافورة
الى أحد جيراني
أحبُّ الليل وهذا المكان
حشراتٌ مسرعةٌ تطيرُ، يراقبها لقلق أسود
يقف أمامي

٢٩

أقدّمُ ما عندي هدايا
الى سكّان الأزقة الضيّقة
الى نسر خجول
الى الأبدية لأنها حرّرتني من احتكار الكلام
عن المصانع والصيادين
والى يعسوب أرشدني الى شاعر مكتظ بأوهام
وطرقات تؤدي الى لا مكان

٣٠

لَستُ بَعيدًا عن نفسي إلّا مسافة قبلة
أو قبلتين

٣١

أنا المهاجر القديم، ما زال جنكيزخان يحاصرني
ويهذدني دائمًا دويّ طبول

٣٢

آخر الليل أتسلّل الى مستشفى
بينَ مرضى وموتى أنام
فيظهر تمساح في منامي وفي عينيه
وجهي حين كنتُ طفلًا

٣٣

أجدادي التهموا صخور الوديان
بنوا قلعة ولدت فيها بعد آلاف السنين
حملوا الى سهول بعيدة
أشجارًا وزقّورات

٣٤

ينبغي جرد هذه الكتابة من شائعات نساء
ومن جمل طويلة تقترب من خيول لا تصهل

٣٥

يتجولُ في منتصف حياته
مثل نبي مطرود من قلاع وقرى
يلوّح لغابات نخيل
في قصائده ضاعت غزلان

٣٦

فوجئت هذا الصباح بثيران مجنّحة تحوم وتدور حول بيتي في الفليبين
شاهدتها من نافذة غرفة النوم، وكان الوقت مبكرًا، بينما كنتُ أتطلعُ
الى السماء لأرى حال الطقس اليوم
أصعدُ الى السطح، اختفت
هل يمكن انها سقطت في المحيط القريب من بيتي؟
جيراني ليسوا مندهشين ولا أحد منهم ينظر الى السماء
لا أحد رآها غيري
كما يبدو.
- ايميلي، ايميلي، أصرخ مناديا صديقتي.
- ماذا حدث؟ تسأل.
- هل رأيت ثيرانا مجنحة تحوم قبل قليل فوق بيتنا؟

- ثيران ولها أجنحة؟

- يبدو أنك لا تعرفين. الثور المجنح رمز حضارتي العراقية القديمة. له خمس سيقان مع جناحين ورأسه رأس ملاك أو ملك نبيل. يبدو أن هذه الثيران جاءت لزيارتي لكني لا أراها الآن وأخشى أنها سقطت في المحيط.

- أرجوك انزل من السطح قبل أن يراك الجيران. لا نريد فضيحة أخرى، فهم يرتابون منك.

- يرتابون؟

نعم. ألم تخبرهم حول النبي نوح واعتقاله في » سيبو{، حوارك مع أحد الموتى وتلك الزرافة التي كانت تبكي في محكمة؟ أرجوك، لم أعد أتحمل نظراتهم. انزل فقد هيأت لك الفطور.

زرت باب سين، الموصل، في العام ١٩٦٥ في فترة اندهاشي بالحضارة العراقية القديمة. بعد حوار مع عدد من تلك الثيران المجنّحة، تركت لبعضها عناويني: كيف عرفت انني أقيم الآن في الفليبين؟

٣٧

لَملَمتُ اشارات الطرق الى حياتي

أهديتها الى فلول جنادب

ذئب يتغطى بلحاف من زجاج

إلى صالح دياب

١

أنا أيضًا تمرغتُ في وحول القرى
هاربًا من حشد بعد حشد
ومن مشاهد أنبياء فوق بغالهم،
ذاتَ مرّة دارت ضباع، طوال الليل
حول بيتي، فبدأتُ أكتب وصيتي الأخيرة.
- تبحثُ عن صغارها،
أخبرني ضبع من الشباك.
فتحت الباب، بحثت هنا وهناك.
خرجت.

٢

لا أمتعض من البرد أو من السماء. لستُ غازيًا
أقطن بزّية كلّ بلد.
لا أحترم الصيّادين
أحتمي من اللانهاية بجمل قصيرة
وأحضر تكريم غابة حين تهاتفني شجرة
أو اذا دعاني ثعلب.

٣

في ريف جميل، قطار قديم ومهجور
حوله يدور عميان ينشدون
وقد تدّمت أكفهم من طرق الأبواب.

٤

مطار هيثرو. في استقبال الملكة
صف طويل من جنرالات سمان وقضاة قصار

أرديتهم حمراء وثقيلة
أرغب في صفعهم، واحدًا بعد آخر.

٥

في قصيدة لم أكتبها بعد
مهندسون يتشاتمون أمام مسرح يحترق.
متجول، يشبهني تمامًا، يصفن في حديقة شاسعة.
أحدهم يحاول ترويض فمه منذ سنوات لكنه يفشل
لص يتشبث بجسر، يكلّمه قبل أن ينتحر.
طفلة تنحني لحصان، فيصهل.

٦

بعيدًا عن معبد عشتار وغانياته المقدّسات
أتحايل على شيخوختي، في جانبها المظلم
أخفي مكتبة عامرة، سأتركها لموانئ
ولعميان يتعثرون فيها.

٧

جارتي تثرثر حول أطفال
تظنهم خطفوا الى كوكب قريب.
- هل رأيتِ مركبة الخاطفين، أسألُ
- تكلم من؟ تسألني صديقتي من المطبخ.
- لا أحد، أجيبها
- تكلم من اذن، تسألُ أيضًا
لا أعرف ماذا أجيب.

٨

عاد جنودنا الى ثكناتهم
ناهبين أفرشتنا

طناجرنا،
كلابنا
ومظلاتنا المثقوبة.

٩
لا أنسى الكروم وأشجار الجوز
خلف جبال (عقره).
شراب وفير، ولائم في قرى الآشوريين الكرماء، عسل قرب كهوف.
هناك أحببت سباستيان باخ، كنت في الثامنة عشر من عمري، جريحًا بشظية.

١٠
احترم الجبال، قصصها وأحلامها.
حياتي بدأت من جبل
انتهيت مرشدًا في هذه المرتفعات
وطبيبها الدائم. أدواي جبالًا ساخنة
وأسجل حرارة أعماقها.
بينها، بدراجتي، أتنقل.

١١
نهار يجوب مدينة.
مطر يلحس حصى، فتبرق ألوانًا
عمال يحتفلون في مبنى، يقترب كلب كبير
- مرحبا أيها السيد، ينحني البوّاب.
الكلب لا يرد.

١٢
ركضت من بيتي الى قطار أربيل
متخيلًا سواحل هناك.

في الطريق ساهمت في اجلاء أشجار وحيوانات
من هجمة فيضان.

١٣

سأحملكِ الى السفينة، قلتُ لها، اذا هاجرتِ معي
ظلّت على رصيف الميناء تبتسم وتلوح لي
صعدتُ الى السفينة وحدي وكانت فارغة.
عدت الى الرصيف ولم تكن هناك.
التفتُ الى السفينة فرأيتها تبتسم وتلوح لي مع آخرين وأخريات، والسفينة تبتعد.

١٤

لم تعد العدالة هدفي. تمنعني قوانين كثيرة.
أقاتل من أجل نصيبي من الحلم وأقضي معظم النهار
في النوم.
في هذه المدينة، وربما في غيرها أيضًا
لم تعد هناك محلات لبيع الزهور وانما كتب رخيصة
يشتريها البدين والبخيل.

١٥

وحيدًا، عاجزًا وبلا أمل، تقف أمام البحر.
(هذا يضحكني)، لكن كما في كلّ مرة،
يعطيك نسيمًا ينشّط مخيالك
فتمضي جوّالًا لفترة أخرى.

١٦

انما عنك يكتب
يراك في بلدان وأحلام،
ودائمًا، في احدى يديك

حزمة قصائد.

١٧

يسمع نقرًا على شباكه
يفتحه، لقلق بين منقاره سمكة
- ماهذه؟
- هدية.

١٨

تلال من تراب
استحمام قبل النوم وبعده.
لا يشكو من عاصفة مفاجئة
أو من زلزال يومي. تآخى معهما.
يعيش هنا ويكتب هناك.
قلعته القديمة مزت فوق بيته قبل قليل.
سمع هلاهل ورأى أطفالًا يلوحون.
تراب من تلال.

١٩

اكتشفت في احدى مناماتي أن لذئب أعرفه،
أخًا تعثر بي في ليلة مقمرة،
وكنتُ عائدًا من جزيرة بعيدة بعد أن قايضت ثورًا بارملة،
لم يعتذر وفهمت من سلوكه الصلف،
عذاب مسافرين احترق خانهم وهم نائمون،
فهرعوا يقفزون من السلالم والنوافذ ونسوا حقائبهم
وكانوا محاطين بذئاب تعوي بنشاط، منهم هذا الأخير.

٢٠

أبدأ بقلب جملة بعد أخرى على ظهرها. سيكون علي استئجار أحدهم

اذا حلَّ الليل ولم انته. في الليل تبدو الكلمات أفخاخًا
نصبها باحثون، سكناهم في ضواحي المطلق.
اذا ابتسموا، فهي رهيبة وان ضحكوا فان الخراب
يظهر في وجوههم بفم من نحاس.

٢١

أليّ تأتي كلمات أحبّها، تحملها نمال، أعرفها تمز في كلّ مزة من أودية مخصصة لباشق في بطنه حفنة تراب من قرية عصرت أمامها زيتونًا قبل نصف قرن، فصفق حطّابوا القرية تكريمًا لي، لكنَّ الله كان قد اصطف مع العناكب ضدّي ولم يكن ذلك إلّا لأنّي نسيتُ تبجيل فمه، وهو من خزف، في منتصف صفحة.

٢٢

أنام لأحلم. لا يغريني أي شيء للخروج. التجوال، في حقيقته هو، دائما، بين أسوار لامرئية. ماذا سأشاهد إن خرجت؟ باعة ثعابين، مقهى بعد مقهى، غضب هدفه افريقيا، قرويين يدخنون وجنودا يتجهون نحو باخرة؟

عليّ أن أتنحى جانبا، بين حين إلى آخر، لأتجنب مارة يائسين من فراديس مهجورة.

وجوههم ملطخة بدم صقور.

٢٣

تعلّمت بعض الحكمة من التحديق في البحر،
مراقبة النجوم، التمتع في أشكالها والتغنّي بأسماء الرياح.
فكرتي عن اللانهاية من الجوانب المظلمة للنجوم والأزقة.
قوارب المدن نساء، وكهولها يلقون كتبهم من نوافذ شققهم العالية في الليل،
مع صور أطفالهم، وهناك منجّمون في أبنية شيّدت لقتلة، يتلون تعاويذ وأدعية على مرضى الحروب
بينما غربان تلتقط نقودًا فضّية من مقابر الأجداد.

أركل أسماكًا مجففة وأنا أبتعد عن
فجوة في شجرة شاهقة تنتحب فيها بومة.

٢٤

أنا لاعب فاشل في الشطرنج
والتغزل مع أرملات.
فاشل في الطبخ
وانقاذ حياتي من مخاوف قديمة،
علاقتي سيئة مع البرد
ومع فلاسفة يتناقشون في بيتي.
خارج بيتي
ذئب يتغطى بلحاف من زجاج.

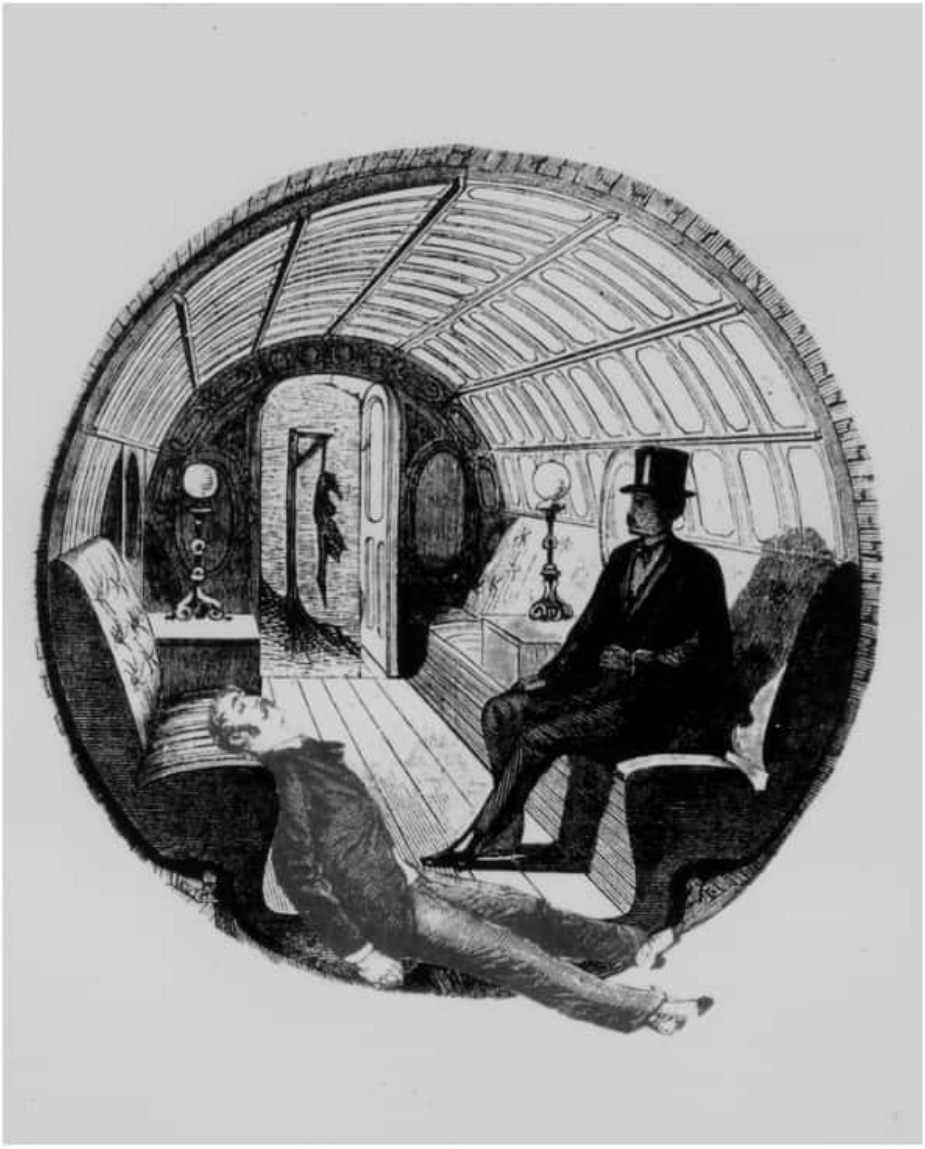

فجر يبحث عن عازف كمان

١

عاليًا، بين الأشجار، بحثتُ عنكِ
لم أر إلّا قمم جبال
وفي مروج، أمامي، عاملات عقيمات
ينبشن، هنا وهناك
عن ألغام حروب.

٢

مذ التقيتكِ
أسكنُ أسطح منازل.
في الغرف بقايا كوكبٍ ميت.
هنا تبهجني أشجارٌ ترمي أوراقها
ترحيبًا بالشتاء
وهناك خيول
يتأملها شفق.
يكفيني هذا القدر من الجمال
فأنا لا أبحثُ عن ملاذ.

٣

ماضي يبدو بعيدًا وغامضًا
عن مناطقه الشاسعة، رتّبتُ دليلًا لنفسي. حين أزورُ هذه أو تلك، سأروي تمامًا ما أرى وما أتذكر. هذا قد يسرّ أخي المشلول وصيادين ليليين في قوارب، ربما يستفزُ ضباط مطارات، وهو ما أحبّ، أو يجفّف آبارًا هنا وهناك. هكذا سأملأها واحدة بعد أخرى، بسطلٍ، من بحيرة قريبة.

٤

الأوقات الجميلة مقبلة، لي أو لغيري:
الألفة بين الحيوانات والصيادين.
لذا أستجمع قوايَ من ممالك حجرية، مبعثرة
داخل فمي.

٥

حين وصل أخيرًا الى القمة
ترك سيزيف صخرته تتدهور
جلسَ، شاهد جمال الطبيعة وابتسم

شربَ ماءً من ينبوع قريب
تطلّع إلى ظهور بطيء للقمر
وقلة نجوم.
٦
أرضٌ قاحلة لأنبياء حفاة
طويلًا ثرثروا عن فيضان كبير
لم يأتِ بعد آلاف السنوات.
أقوالهم في أحجار عالية،
عندما تكلموا، ملوحين برماح
انتحث مرافئ جانبًا.
مذهولًا أرى جدرانًا تبتسم
وأنا أقرأ ما عليها
فأهربُ إلى غرفة في فندق
أستلقي على ريش نعام
وأشمّ بخورًا.
٧
في منتجع بحري
أنتظرُ الإلهام فلا يأتي.
يضجرني تلاطم أمواج
واحتضان عاشقين فوق رمال.
صباحًا، مررتُ بسوق للخضار
وشاهدتُ حجّاجًا في مقهى يحدّقون، مبتسمين
في شاشات كومبيوترات.
الليل يدنو
لم يصل الإلهامُ بعد:
أمامي يمضي موكب سلاحف.
٨
وصلتُ نهاية هذا العالم:
أقمتُ مآدب للضواري
خيراتي تركتها لأنهار وغابات
ولغنائي، بعد كلّ ظهيرة، تخيلتُ ظل نخلة
أخيرًا، أنا أيضًا، وجدتُ كتابتي باطلة -
لغو يناسبُ حفرة في ذقني.

٩
كلّ يوم أقومُ برحلة من بيتي
الى مكتبة
ثم، بعد ساعات، اتجهُ من المكتبة
الى منجم للذهب، لا يعرفه غيري.
هكذا، مثلك، يتكلم فمي
لكنّي أكتبُ شيئًا آخر.
١٠
جئتُ الى جدول قرب بيتي
لأغسلَ ملابسي، فلم يسمح لي.
«ماء هذا الجدول من مطر بكى طوال الليلة الماضية»
أسمعهُ من رائد فضاء
يقفُ عبر شارع مرصوفٍ بحصى ملونة.
١١
حين أرتقي سلالم في الليل
عائدًا، منتشيًا، الى غرفتي
أسمعُ نواح جاريات، هذيان عمال مهاجرين
من غرفة الى غرفة،
عندئذ أمسكُ عندليبي من منقاره
أهزّهُ حتّى يكفّ عن الغناء
أو أخرجُ لأحرقَ سوقًا لنخاسين
ومتجرًا لبيع كلاب.
١٢
أنا وأنتَ والقصيدة
كل واحد
مثل امرأة ترقصُ في شرفة
ككلب يركضُ طول ساحل
أو كسجين يلقي رسالة من زنزانة.
أنت والقصيدة
تشبهان تفاحة منسية
كميت منذ أسبوع في طريق جبلي
وكقطار ضائع.
القصيدة وحدها

شلال محاط بشرطة
هموم موتى
ممرضات يلطمن.
أنتَ ضجيجُ مدينة
مجذاف بلا قارب
رائدُ فضاء بلا فم.
أنا حقيقةٌ في ضباب الشفق
لا يراها أحد.

١٣

أخيرًا حصلتُ على رخصة للتجوال في الليل عبر أرصفة هذا الميناء. أحبُّ القبضَ على سمكة وحشية. بينما تلهثُ وخائفة، أطلقها الى أحد الامواج. سأقومُ بهذا بعيدًا عن حراس يمنعون السفاكين من الاقتراب. هذه المنطقة بلا حيتان، لا تزورها لأسباب لا أعرفها، وإلّا سأكون جالسًا على رمل الشاطئ وأستمعُ الى نصائحها وأسجلها على فخذي.

دوامة محملة بعقارب تتجهُ نحو مدينة نائمة. لا أستطيعُ ايقافها لكنّي أهاتفُ أصدقاء هناك كي يغلقوا الأبواب والنوافذ. أمامي وحولي مسرحيون يقفون، كفزاعات، لئلا تقترب طيورُ مهاجرة، خصوصًا سنونوات ولقالق، من وجبة عشائي.

أحبُّ البحر، أقيسُ حرارة أمواجه وأحذره من اقتراب رياح شرسة من القطب الجنوبي. يبدأ البحر نقل أملاكه، من أسماك ونبات وأملاح وأمواج، الى بلدان أخرى، قريبة. ويدفعُ البقية الى حقول مرجانية في الأعماق، حيث تنتظرُ آلاف الخيول وقت زوال ما يحدثُ على السطح بعد هذا، وكأي شاعرٍ نزقٍ، أطوي أوراقي بعناية.

١٤

إنني مرغمٌ على البقاء هنا، حيثُ تفقدُ الحياة جمالها يومًا بعد يوم. متحفُ المدينة زرته أمس ففوجئتُ بنسخ عنّي تتجوّل في القاعات وأحيانًا تتطلعُ الى لوحات شبّث فيها حرائق، وللحظات لم أعذ أعرف أيّها أنا

في الخارج تجمعت تماثيل المدينة، بقيادة جنرال فاشلٍ، وهي تتظاهرُ وتهتفُ مطالبها الى رؤساء البلديات.

أتوقعُ زيارة احدى صديقاتي هذه الليلة. فقدتُ امرأتي بسبب هزيمة وطني في حربٍ لم يشارك فيها أحد. بعد قليل، سأتمشى في المرفأ، أعرفُ جنودًا يختبؤونَ هناك في سفنٍ محطمةٍ وكانوا فرّوا مثلي من تلك الحرب.

سأرى أيضًا صخورًا تطفو على المياه

١٥

يرن الهاتف من جديد. لن أردّ. أنا مع فريق من المنقبين داخل احدى قصائدي لنحقق في صحة شائعات عن مشاهد مهربين، في بعض مقاطعها، وهم يحملون غوريلات صغيرة في أقفاص حديد.

كنت أظن الحيوانات في قصائدي من سوائل. استثني المحيط الهندي من تهمة نقله أخبارًا الى فروعه، عن تسلّل بعض أفكاري الخطرة الى الأرياف وعلى صهوة حصان يشبه البراق لكن بجناحين صغيرين

انني عاجزٌ عن الكلام وأشعرني مذنبًا ازاء هذه الشائعات وبعض الاتهامات. أتلقى كلّ يوم رسائل تهديد من مدافعين عن الحيوانات

- لكني صديقهم، صرختُ على أحد أعضاء تلك المنظمة

- إذن أطلق سراحهم من قصائدك.

كيف أفعل ذلك؟ هذا ما يشغلني منذ فترة.

* * *

إلى لؤي حمزة عباس

١٦

أواسي سائحًا يبكي في مكتب استعلامات
نكثتُ بوعدي، مرة أخرى، هذا المساء
لأصدقاء ولأمرأة أحبُّ
فاليوم ذكرى ميلادي
وها أنا أمضي من رصيفٍ الى رصيف
أركلُ معجزات أمام اسطبلات بغال.
نمتُ ليلة أمس في فندق قذر
طرتُ من غرفةٍ الى غرفةٍ هاربًا من براغيث
ونقاشات سكارى.
حين خرجتُ، التقيتُ الفجرَ عند الباب
«أراهنُ انك تبحثُ عن عازف كمان» قلتُ
«كيفَ عرفتَ ذلك؟»
لم أجب.

١٧

يلهيني عنكِ طائر الكروان، خوفي من مرور زلازل قريبة. أنتِ مشغولة بأوهامك ولا تعرفين أيّ كوكب هذا. انشغالاتي قليلة، منها زيارة صديقي بوذا اليوم. أظنّه سبّاحًا ماهرًا، يتقفص أحوال الصامتين في المستشفيات،

وله صلة بالبراكين، تشغلني كذلك سمعة اللقالق في هذه البلدة:

زَوجَ أحدهم أكاذيب وشائعات عنها وأطفالها، كما ثرثرَ عن تكاسل الخيول رغم أشغالها الشاقة منذ الفجر وحتى قدوم الليل.

ربما يمكن صديقي بوذا أن يشرح لي سبب هذا الجفاء بيني والذي يكتب هذا الآن.

١٨

كتابة الشعر بالازميل
أتذكرها من مقابر ومساجد قديمة
في كركوك.
الليلة، سأجعلُ لهذه الذكرى احتفالًا على سطح منزلي
قبل أن يصل الشتاء
ويستولي عليه.

١٩

قصيدتي الأخيرة
رسائل ممزقة في شرفة.
صريرُ باب لا أراه
هوسُ التطلع الى ستائر نوافذ
قراءات عن أرواح فى البرارى